بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



إلقاء الأستاذ الدكتور:

أيمن بن سعود العنقري

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حيَّاكم الله معاشر الإخوة والأخوات إلى البرنامج الأسبوعي (**التوحيد أولاً**).

حديثنا بإذن اللَّه في هذه الليلة عن فرقة من فِرَق الباطنية، وهي (**الإسماعيلية**).

الإسماعيلية هي فِرْقةٌ من فِرَق الباطنية غلاة الشيعة، وسبق لنا أنْ بيَّنا المراد بالباطنية؛ قلنا: بأن الباطنية لقب يُطلق على طوائف متعددة، يجمعهم القول بأنَّ لكل تنزيلٍ من الوحي تأويل، ولكل ظاهر -يعني: من نصوص الوحي- باطن. هذا المراد بالباطنية.

الإسماعيلية هي أمُّ الفرق الباطنية، سُميت بالإسماعيلية نسبةً إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، حيث زعموا أنَّ الإمامة انتقلت إليه من جعفر الصادق بعد موته إلى ابنه: إسماعيل بن جعفر، أو ولده محمد بن إسماعيل، على خلافٍ بينهم.

وتعود جذور فرقة الإسماعيلية الباطنية إلى الشيعة الإمامية، فتلتقي مع الإمامية الاثني عشرية بالقول بإمامة جعفر الصادق، ومن قبله من أئمة الاثني عشرية، وتختلف معها في تحديد الإمام بعده، يعني: مَنْ بعد جعفر الصادق يكون إمامًا؟ هنا **المفترق بين الاثني عشرية وبين الإسماعيلية**:

فذهبت الإسماعيلية إلى القول بإمامة إسماعيل بن جعفر أو ولده محمد، على الرغم من أنَّ إسماعيل بن جعفر الصادق كان قد توفي قبل وفاة أبيه بخمس سنين، توفي سنة (١٤٣هـــ) وقد أكَّد الأب وفاة ابنه بأقوال شهودٍ عديدين، وكتب محضرًا في ذلك، وأشهد عليه والي المدينة آنذاك، وكان غرض جعفر الصادق من ذلك: مَنْع غلاة الشيعة من ادِّعاء بقائه حيًّا، فانقسم أتباعه بعد موته إلى ثلاث فِرَق:

❶ **اَلْأُوْلَى** قطعت بموت إسماعيل بن جعفر الصادق، وإمامة أخيه موسى الكاظم بن جعفر بعد وفاة أبيه، وهذه تسمى الاثني عشرية، اللي هم الشيعة الإمامية الاثني عشرية هؤلاء.

❷ **الثَّانِيَةُ** ادَّعت أنَّ إسماعيل لم يمت، وإنَّما أظهر جعفر موته تقيَّةً، يعني: خوفًا من خلفاء بني العباس، وزعمت أنَّه لا يموت حتى يملك الأرض، وأنَّها تنتظر دعوته.

❸ **والفرقة الثَّالِثَةُ** ادَّعت أنَّ جعفر الصادق نصَّب ابنه إسماعيل الإمامة بعده، فلمَّا مات إسماعيل في حياة أبيه؛ زعموا أنَّه إنَّما نصَّب إسماعيل ليدل على إمامة ولده محمد بن إسماعيل من بعده، وادَّعوا أنَّ النَّصَّ لا يرجع القهقر، يعني: لا يرجع إلى الوراء.

۞ والفائدة من النَّصِّ عندهم: بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره؛ لذلك قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر.

فالفرقتان الأخيرتان أُطلق عليهما اسم الإسماعيلية.

➢ والنَّاظر في كتب الفِرَق، وحتَّى ممَّن كتب عن الفِرَق من الشيعة كـــ"النوباختي" في كتابه [فِرَق الشيعة] يدرك أنَّ إسماعيل بن جعفر الصادق هذا الذي تنتسب إليه فرقة الإسماعيلية كان من أصحاب رجل زنديق، يقال له: أبا الخطَّاب، واسمه: محمد بن مقلاص، وهو غال من الغلاة، ادَّعى النبوة في جعفر الصادق، ثُمَّ الألوهية، وقال –أبو الخطَّاب هذا–: "إنَّ جعفرًا هو الإله في زمانه، وليس المحسوس الذي يرونه، ولكن لَمَّا نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس بها" وهذا أشار إليه الشهرستاني في [الملل والنِّحَل]، ثُمَّ بعد ذلك ادَّعى الألوهية لنفسه بنوعٍ من التناسخ الذي قالت به فِرَق الباطنية.

طبعًا المشهور عن الخطَّابية –أتباع أبي الخطَّاب– أنَّهم يقولون بتناسخ الأرواح عامة، وتقمُّص أرواح الأئمة خاصة، حتى انتهى الجزء الإلهي عندهم إلى أبي الخطاب نفسه، ألَّهوه.

وقد أكَّد النوباختي –النوباختي هذا مؤرِّخ شيعي إمام اثني عشري– في كتابه [فِرَق الشيعة] بعد دراسته لمعتقدات القرامطة الإسماعيلية ومقارنتها بعقائد الخطابيَّة أنَّ مذهب الباطنية –يعني: الإسماعيلية؛ لأنَّ الإسماعيلية هي أمُّ الفِرَق الباطنية أنَّ مذهب الإسماعيلية الباطنية– مُنشَّق من الخطَّابية.

فقال بعد ذكره لعدد من عقائد الإسماعيلية: "وهذا أيضًا مذهب عامَّة أصحاب أبي الخطَّاب".

⮨ إذًا الإسماعيلية أرسى دعائمها ووضع قواعدها أبو الخطَّاب أولاً، الذي ادَّعى الألوهية في جعفر الصادق، ثُمَّ بعد موته تابع نشر عقائدها عددٌ من أتباعه أطلقوا على أنفسهم لقب الإسماعيلية، وكان منهم ميمون القدَّاح وولده عبد الله المجوسيان الدهريان، اللذان

استطاعا أنْ يؤسسا داخل الإسماعيلية جمعية سريَّة انتخب لها دعاةً من أصحاب التلبيس والتدليس، وممَّن يحسنون فنَّ الخِداع كي يقوموا بدعوة النَّاس واصطيادهم إلى هذا المذهب الخبيث الباطني.

وقد اعترف مصطفى غالب -مصطفى غالب هذا إسماعيلي معاصر، وله نشاط في نشر كتب الإسماعيلية كثير جدًّا، وسيأتينا أيضًا عارف تامر، هذان الاثنان مصطفى غالب وعارف تامر إسماعيليان معاصران لهما نشاط دءوب في نشر كتب الإسماعيلية الباطنية- في كتابه [تاريخ الدعوة الإسماعيلية] في صفحة (١٣٩) حين عدَّ ميمون القدَّاح وولده عبد الله من رجالات الإسماعلية الأوائل.

يقول مصطفى غالب في كتابه [الحركات الباطنية في الإسلام]: "إنَّ ميمون القدَّاح كان فيلسوفًا وعالمًا من أنبغ علماء عصره، ومن أعظم واضعي أسس الحركة الإسماعيلية، وعلى يده ويد أولاده وأحفاده ازدهرت هذه الحركة في دور الستر اَلْأَوَّل". انتهى.

✍ النقطة التي بعدها: انقسامات الإسماعيلية.

كثيرة جدًّا، يهمنا منها: انقسامهم لفرقتين:

- الفرقة اَلْأُوْلَى: الإسماعيلية النزارية، المعروفة بـــ"الأغاخانية".
- والثَّانِيَةُ: الإسماعيلية المستعلية المعروفة بـــ"البُهرة".

فالنزارية اعتقدت بأنَّ الإمامة بعد المستنصر بالله -من خلفاء الدولة العبيدية، وقد هلكت سنة (٤٨٧هـــ)- ابنه الأكبر نزار، ويُطلَق على الإسماعيلية النزارية في عصرنا الحاضر اسم "الأغاخانية" بسبب اعتقادهم إمامة الأغاخان، والاعتراف به زعيمًا روحيًّا لهم.

الفرقة الثَّانِيَةُ من الإسماعيلية: الإسماعيلية المستعلية، وتعتقد هذه الفرقة أنَّ الإمامة بعد المستنصر بالله انتقلت إلى ولده المستعلي، وبعد وفاته تولَّى ابنه حسن الآمر بأحكام الله، الذي ضيَّع وقته باللهو والمجون إلى أنْ قُتل على يد الإسماعيلية النزارية سنة (٥٢٤هـــ)، ومن بعده آل الأمرُ إلى عمِّه الحافظ عبد المجيد بن المستنصر، ثُمَّ تبعه بعد ذلك عدد من الخلفاء العبيديين، الدولة العبيدية الباطنية، تسمى زورًا "الفاطمية"، وهذا غير صحيح، هذه دولة باطنية

إسماعيلية، الصواب أن يقال: "الدولة العبيدية"، ففاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بريئةٌ منهم ومن عقائدهم الكفرية، كما سنبين ذلك إِنْ شَاءَ اللَّه.

إلى أن سقطت الدولة العبيدية، المسماة زورًا بـــ"الفاطمية" على يد صلاح الدين الأيوبي، وبعد سقوطها انتقلت فرقة الإسماعيلية المستعلية إلى اليمن، واستمرت طيلة خمسة قرون، خمسمائة سنة في اليمن، ووجدت دعوة الإسماعيلية المستعلية نجاحًا في الهند، فقرَّر أتباعها في القرن التاسع الهجري نقل مركز دعوتهم إلى "كوجارت"، لكن حصل انشقاق في صفوف الإسماعيلية المستعلية بعد وفاة الداعي المطلق السادس والعشرين عجب شاه، سنة (٩٩٩هـــ).

إذْ خرج على ولده داود أو داهود بن عجب شاه، رجل منافس له يدعى سليمان بن الحسن، أراد أن يستأثر بالأمر دونه، فتبع الفرع الهندي وهم الأكثر داود، الآن اللي في الهند الداودية الباطنية اللي هم "البُهرة" في الهند، وفي نجران واليمن السليمانية، الإسماعيلية الباطنية، أتباع سليمان بن الحسن هم اللي في نجران واليمن، واللي في الهند الداودية، فرقة الداودية الإسماعيلية الباطنية، والتي في نجران واليمن فرقة السليمانية الإسماعيلية الباطنية.

فتبع الفرع الهندي –وهم الأكثرية– داود الذي اعتبر الداعي السابع والعشرين، ولُقب أتباعه بـــ"البُهرَة".

طبعًا "البُهرَة" هذه كلمة هندية تعني: التاجر، بينما تبع الفرع اليماني نجران واليمن سليمان بن حسن، وأُطلق عليهم اسم السليمانية، وهم الموجودون الآن في نجران واليمن.

و"البُهرة" الداودية في الهند رئيسهم محمد برهان الدين بن عبد الحسين حسام الدين، ولا يزال حيًّا إلى وقتنا الحاضر.

بينما فرقة السليمانية الباطنية رئيسهم الآن حسين بن إسماعيل بن أحمد المكرمي، من عام (١٤١٣هـــ) إلى الآن، ولا زال في رئاسة السليمانية إلى الآن، وطبعًا نشأته وحياته غامضة، حتى إنَّ أكثر الأتباع لم يعرفوا عنه شيئًا إلى أنْ تولَّى زعامة فرقة السليمانية الباطنية في نجران.

ثُمَّ أتى، يأتي من بعده، من بعد حسين بن إسماعيل المكرمي أشهر منه عند عامتهم، وهو الداعي محسن بن علي بن الحسين، الذي تنافس مع اَلْأَوَّل على زعامة الطائفة.

طبعًا هناك اختلاف، هم كلهم إسماعيلية باطنية، هناك اختلاف بين الداودية الباطنية اللي في الهند، وبين السليمانية الباطنية التي في نجران والهند في فروق يسيرة بينهما:

☜ من أهم أوجه الاختلاف بين الطائفتين الإسماعيليتين:

عندهم جميعًا نظرية أو عقيدة تسمى "نظرية الاستيداع أو الاستقرار"، ويقصد بذلك: أنَّ الإمامة عندهم تكون مستقرة، أو مستودعة، بمعنى: أنَّ الإمام إذا لم يكن مؤهلاً للإمامة؛ فإنَّها تنصرف إلى شخصٍ آخر كمستودع للإمامة حتَّى يكون الإمام الأصلي مؤهلاً لها، فتنتقل إليه.

فالداودية الإسماعيلية ترى أن الاستقرار والاستيداع يكون خاصًّا بالأئمة والإمامة فقط، وبعد غياب الإمام رُفعت هذه النظرية، وغابت بغياب الإيمان، والدعاة الذين ينوبون عن الإمام عند الداودية لا يكون فيهم أمر الاستيداع والاستقرار.

أمَّا السليمانية الإسماعيلية؛ فترى استمرار عقيدة الاستقرار والاستيداع حتى بعد غياب الإمام، ولذلك تنكر الداودية اللي في الهند، ينكرون على السليمانية أشد الإنكار عندما استودع سليمان بن الحسن الهندي محمد بن الفهد على ابنه جعفر، وحجة الداودية: أنَّ الدعاة مستودعون للإمام الغائب، فكيف أنَّ المستودَع يستودع المستودِع؟

هذه من الفروق اليسيرة بينهم.

✍ النقطة التي بعدها -وهي مهمة-: مصادر عقائد الإسماعيلية الباطنية.

هي خليط تلفيقي من عدة مصادر:

⇦ فمنها: تأثرت فرقة الإسماعيلية الباطنية بالفلسفة اليونانية، فالإسماعيلية الباطنية جعلوا فلاسفة اليونان الملاحدة كأفلاطون وأرسطو أئمة لهم في تقرير عقائدهم، بل يفتخرون بمدحهم في ثنايا كتبهم، وينقلون أفكار هؤلاء الملاحدة فلاسفة اليونان.

قال الشهرستاني في [الملل والنِّحل]: "إنَّ الباطنية القديمة -يقصد الإسماعيلية- قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في [درء تعارض العقل والنقل]: "والفلسفة هي باطن الباطنية؛ ولهذا صار في هؤلاء نوع من الإلحاد، فقلَّ أنْ يسلم مَنْ دخل مع هؤلاء من نوعٍ من الإلحاد في أسماء الله وآياته، وتحريف الكلم عن مواضعه". انتهى كلامه.

➢ ويمكن أنْ أُلخِّص تأثر الإسماعيلية الباطنية بالفلسفة اليونانية فيما يلي:

① **أولاً**: تأثَّر الإسماعيلية الباطنية بفلاسفة اليونان في نظرية "الفيض" والتي قررها أفلاطون، إلا أن الإسماعيلية الباطنية سموها بنظرية "الإبداع أو الانبعاث"، وهي: "أنَّ الله أبدع العقل اَلْأَوَّل، ثُمَّ انبعثت العقول التسعة الأخرى واحدًا تلو الآخر"، فنظرية "الفيض" الأفلاطونية التي رتبت الوجود ترتيبًا يقف في أوله المبدأ اَلْأَوَّل الله ثُمَّ العقل الكليّ، ثُمَّ النفس الكليَّة، ثُمَّ هذا العالم المادي المشاهد.

وذهبوا -يعني الإسماعيلية- إلى أنَّ العلاقة بين هذه المخلوقات، هذه الموجودات المشاهدة وبين الله ليست علاقة خلق ولا إيجاد! هم لا يؤمنون بأنَّ الله خالق رازق، سيأتي الآن بيان شيء من عقائدهم وأنهم ملاحدة.

☜ قالوا: إنَّ العلاقة بين هذه المخلوقات الموجودات وبين الله ليست علاقة خلق أو إيجاد من الله، بل علاقة فيض أو صدور، بمعنى: أنَّ المبدأ اَلْأَوَّل فاض منه العقل الكليّ، ومن العقل الكلي صدرت النفس الكلية، ثُمَّ العالم المادي من النفس الكلية، وتبعًا لنظرية "الفيض" التي قررها أفلاطون من ملاحدة فلاسفة اليونان: الإسماعيلية جردوا الله من كل اسمٍ وصفة، وبلغوا حدًّا في النفي عن الله أنَّهم نفوا عنه كلمة الوجود، قالوا: بأن الله لا يوصف بأنه موجود! ملاحدة، حقيقة قولهم إنكار وجود الله -كما سيأتي-؛ فسلبوا عن الله النقيضين.

☜ قالوا -هؤلاء الإسماعيلية الباطنية-: الله لا عالم ولا جاهل، ولا حي ولا ميت، ولا موجود ولا معدوم؛ رفعوا عن الله النقيضين!. النقيضان هم اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ لأنَّ الشيء في بداهة العقل إذا كان عالمًا انتفى عنه الجهل، وإذا كان جاهلاً انتفى عنه العلم، هؤلاء من شدة نفيهم لوجود الله -هؤلاء الزنادقة الملاحدة- سلبوا عن الله النقيضين، فشبهوا الله جَلَّ وَعَلَا بالممتنعات، المستحيلات! يستحيل هذا.

يستحيل أن يكون الشيء في آنٍ واحد لا عالم ولا جاهل، ولا حي ولا ميت، ولا موجود ولا معدوم؛ ولهذا شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في [الرسالة التدمرية] في أَوَّلها لَمَّا ذكر مقالات هؤلاء الملاحدة قال: "فغاليتهم" -يعني: الباطنية، يقصد الإسماعيلية وأمثالهم- سلبوا عن الله النقيضين، فقالوا: إن الله لا عالم ولا جاهل، ولا حي ولا ميت، ولا موجود ولا معدوم"، قال: "فشبهوه بالممتنعات" يعني: المستحيلات. مَنْ كان هذا حاله يستحيل أن يكون موجودًا.

فهذا في الحقيقة إلحاد وإنكار لوجود الله جَلَّ وَعَلَا، وهم لجئوا لرفع النقيدين عن الله حتى لا يُتهموا في عقيدهم؛ فالإسماعيلية يتطلعون في الجملة لنفي وجود الله جَلَّ وَعَلَا.

② أيضًا ثانيًا: تأثرت الإسماعيلية بفلاسفة اليونان فيما يسمونه بـــ"نظرية المثل والممثول"، والتي أول من قال بها: أفلاطون، ومن جاء بعده من فلاسفة اليونان كأرسطو، وأصبحت "نظرية المثل والممثول" عند الإسماعيلية الباطنية -هؤلاء الملاحدة الزنادقة- ركيزةً أساسية من معتقداهم يقوم عليها التأويل الباطني، فالتأويل الباطني عند الإسماعيلية اعتقادهم أنَّ لكل شيء تأويل، أي شيء من نصوص الوحي له ظاهر وله باطن.

📖 مُلخص "نظرية المثل والممثول" عند أفلاطون: أنَّ هناك عالمين:

- اَلْأَوَّلُ: العالم الحسِّي، يعني: المشاهد.
- والثاني -وهو الحقيقي-: عالم المجردات، وفيه أصول ما في ذلك العالم الحسي، وهو مثاله.

وفي عالم المُثُل عندهم يوجد لكل شيء مثال وهو الموجود الكامل؛ لأنَّه مثال للنوع لا للجزء.

➢ يقول شيخ الإسماعيلية علي سليمان في كتابه [إسعاف الطالب] في صفحة (٧٨): "إنَّ الظاهر مثل، والباطن ممثول، وظاهر القرآن مثَل وباطنه ممثول"، ثُمَّ حرفوا بعض النصوص القرآنية لكي يوفقوا بينها بزعمهم وبين الفلسفة اليونانية، فاستدلوا على "نظرية المثل والممثول" بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[العنكبوت:٤٣].

➢ قالوا: "فالصراط المستقيم في قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾: هو الإمام الإسماعيلي الغائب" انظر للتحريف الباطني والتأويل الباطني، "وهو ممثول، والصراط مثل" وقد أشار لذلك قاضيهم النعمان في كتابه [أساس التأويل] في صفحة (٦١)، وهو من كتب الإسماعيلية المعتمدة.

➢ واعتقدوا -يعني: الإسماعيلية- أنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختُصَّ بالتنزيل الذي هو ظاهر الشريعة، واختُصّ علي -عندهم علي- بالتأويل الذي هو باطن الشريعة، ثُمَّ تلقاه من بعده أبناؤه، ثُمَّ الأئمة والدعاة. وقد أشار إلى هذا القاضي النعمان الإسماعيلي في كتابه [تأويل الدعائم].

➢ وعندهم أنَّ ظاهرة القرآن معجزة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وباطنه، يعني: باطن القرآن، يقول الظاهر هذا معجزة الرسول، والباطن قالوا: هذا معجز للأئمة من آل البيت، لا يوجد إلا عندهم، ولا يستطيع أحدٌ أن يأتي بظاهر الكتاب غير محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام، ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته.

➢ قالوا -والكلام للقاضي النعمان في [أساس التأويل]-: "وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم" هكذا قال.

⇦ وأكد المعاصرون من الإسماعيلية الباطنية بتأثر الإسماعيلية بالفلسفة اليونانية.

يقول عارف تامر -إسماعيلي معاصر- في مقدمة تحقيقه لكتاب [أربعة رسائل إسماعيلية]، قال متَبَجِّحًا في الثناء على الإسماعيلية الباطنية: "إنَّها مدرسة فيها نمى الفكر اليوناني وشبَّ وترعرع" يقولها مفتخرًا أهم يأخذون من ملاحدة اليونان، أرسطو وأفلاطون.

⇦ ويعترف مصطفى غالب -وهو إسماعيلي معاصر- في كتابه [الحركات الباطنية] في صفحة (٩) بأنَّ عقيدة الإسماعيلية خليط من الأفكار الأجنبية، فيقول: "إنَّ الباطنية في مسألة إثبات الصانع وتوحيده والعدل والنبوة اعتنوا بما يتصل بهذه المسائل من مباحث عقلية كثيرة فطوروها ونسّقوها ولقحوها بالأفكار الأجنبية الفارسية واليونانية والهندية، كما تفاعلوا بالمد الفكري اليوناني، واعتمدوا على فلسفات الأمم الأخرى في القرن اَلثَّانِي الهجري". انتهى كلامه.

أيضًا من مصادر الإسماعيلية الباطنية "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" هذه من المصادر المهمة العقدية المهمة الرئيسة عند الإسماعيلية الباطنية، وقد اعتمد إخوان الصفا في رسائلهم على فلسفة فيثاغورث اعتمادًا واضحًا، فيثاغورث: فيلسوف يوناني ذاع ذكره في معلوماته في علم الرياضيات في المثلث، والمربع، وغيرها.

ورسائل إخوان الصفا هذه بلغت إحدى وخمسين رسالة تحتوي على أربعة أقسام:

❶ منها: رياضية تعليمية.

❷ ومنها: جسمانية طبيعية.

❸ ومنها: نفسانية عقلية.

❹ ومنها: ناموسية إلهية، وهي ما يتعلّق بعقائدهم، بالإلهيات، هي التي تهمنا القسم الرَّابِعُ.

☜ **والغاية من كتابتها** -كما يزعم الإسماعيلية-: محاولة الجمع بين الفلسفة والشريعة، فادَّعى كتَّاب هذه الرسائل الذين كتموا أسماءهم وبثوها للناس، طبعًا كُتَّاب من كتب هذه الرسائل مجهولون، لا يعرفون، بعض الإسماعيلية حاول أن يذكر احتمالات لمن كتب رسائل إخوان الصفا، لكن الحقيقة أنهم مجهولوا الهوية وإن كانوا إسماعيلية باطنية، كما سيأتي.

ادَّعى كُتَّاب هذه الرسائل الذين كتموا أسماءهم وبثوها للناس: أنَّ الشريعة دُنِّست بالجهالات -قبَّحهم الله- واختلطت بالضلالات، ولا سبيل لغسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة؛ لأنَّها حاوية للحكمة الإلهية.

ذكر القفطي في كتابه [أخبار العلماء بأخبار الحكماء] في صفحة (٨٢): بأنَّ هذه الرسائل وضعها بعض أئمة الإسماعيلية مع اختلافهم في اسمه، وذكر بعضهم أنَّ اسم الإمام العبيدي مؤلفها الإسماعيلي المستور أحمد بن عبد الله، في الدولة العبيدية المجوسية الإسماعيلية، التي تُسمى زورًا الباطنية، أحمد بن عبد الله، قيل: أنه هو الذي كتبها، رسائل إخوان الصفا.

وأشار لهذا الدكتور: علي النَّشَّار في كتابه [نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام]، أشار بقوله: "لاشك أن رسائل إخوان الصفا هي إسماعيلية باطنية، سواء وضعها الإمام أحمد بن عبد الله نفسه أم أتباعه، يسودها الاصطلاحات الإسماعيلية وتنتشر فيها الآراء الباطنية ممَّا يتسق دائمًا مع المذهب الإسماعيلي".

وقد أكد الإسماعيلية المعاصرون هذا، ذكروا أيضًا أحد دعاتهم -المعروف بالحامدي المتوفَّى الهالك سنة (٥٥٧هـ) في كتابه [كنز الولد]، لمَّا تقارن بين كتابه [كنز الولد] وبين [رسائل إخوان الصفا] تجد تشابه وتوافق في الآراء وفي المعتقدات، إن لم يكن نقل، يعني توافق في الآراء، بل النقل الحرفي.

كما أثبت الكاتب الإسماعيلي المعاصر عارف تامر في كتابه [حقيقة إخوان الصفا] بما لا يدع مجالاً للشك أنَّ هذه الرسائل هي إنتاج شخص من الإسماعيلية، وأنَّ إخوان الصفا ينتمون إلى فرقة الإسماعيلية، وقد أجرى عارف تامر -هذا الإسماعيلي المعاصر الذي هلك- مقارنة بين ما ورد في هذه الرسائل وبين مصادر الإسماعيلية الرئيسة المعتمدة عندهم، مثل كتاب [دعائم الإسلام] للقاضي الإسماعيلي النعمان، وكتابات [دعاة الإسماعيلية] كالكرماني والسجستاني؛ فوجد تطابقًا وتوافقًا بين هذه المصادر الإسماعيلية وبين [رسائل إخوان الصفا] في أسلوب المخاطبة، وفي منهج الدعوة، وفي العبارات والألفاظ، وفي فلسفة الوجود ونظرية الخلق والنبوات والمعاد والتأويل الباطني عندهم، والقول بالظاهر والباطن، وغيرها من المعتقدات الإسماعيلية.

أيضًا فيها التصريح بوحدة الأديان، وأنَّ جميع الديانات كلها حق، في [رسائل إخوان الصفا]، طبعًا هذا كفر بالله، هذا غيض من فيض من كفريات الإسماعيلية الباطنية الزنادقة هؤلاء، القول بأنَّ جميع المعتقدات يهود، نصارى، هندوس، بوذيين، أي معتقد يوصل إلى الله! هذا منصوص عليه في [رسائل إخوان الصفا].

جاء في [رسائل إخوان الصفا] في الجزء الرَّابِعُ، طبعًا [رسائل إخوان الصفا] عندي، وهي مطبوعة في خمسة أجزاء، حققها الإسماعيلي المعاصر عارف تامر، هو الذي حققها في خمسة أجزاء، طُبعت في خمسة أجزاء، يقول: جاء في [رسائل إخوان الصفا] في (٤/ ١٤١) ما نصُّه: "ينبغي لإخواننا أيَّدهم الله: ألا يعادوا علمًا من العلوم، أو يهجروا كتابًا من الكتب، ولا يتعصبوا لمذهبٍ من المذاهب؛ لأنَّ رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم كلها" يعني: أيًّا كانت هذه العلوم والمذاهب، يهود، نصارى، هندوس، عُبَّاد أوثان، أي شيء، عباد أضرحة، أي شيء كلها توصل إلى الله، وحدة الأديان.

والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[آل عمران:٨٥].

☜ إذًا نقول: بأنَّ مصادر الإسماعيلية الرئيسة الأفلاطونية المحدثة الفيثاغورية المحدثة، وهي كلها مأخوذة من ملاحدة فلاسفة اليونان؛ إذًا الإسماعيلية أخذت عقائدها من الفلسفة اليونانية، فعقائدهم مزيج وخليط من فلسفات أفلاطون وأرسطو، وعقائد أيضًا نصرانية ويهودية، فهي تأخذ عقائدها من هذه المصادر التلفيقية.

✍ النقطة التي بعدها -وهي مهمة-: معتقدات الإسماعيلية.

① أولاً: معتقد الإسماعيلية في الألوهية:

التوحيد عند الإسماعيلية نفي النقيضين عن الله جَلَّ وَعَلَا -كما قلنا-، فهم يرون أن الله لا عالم ولا جاهل، ولا حي ولا ميت، ولا موجود ولا معدوم، فسلبوا عن الله النقيضين، شبهوه بالممتنعات، الممتنع هو المستحيل الذي لا يوجد، فهم ملاحدة بهذا، إذًا هم أنكروا وجود الله جَلَّ وَعَلَا.

يقول شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي -أحد كبار الإسماعيلية- في كتابه [الدستور ودعوة المؤمنين] صفحة (٩٢): "وتقديس واجب الوجود واجب الوجوب لذاته وتنزيهه عن صفاته، وأنْ يسلب عنه جميع ما خطر بأذهاننا ونبت في أفهامنا، وتعلم أنه أعلى من أن تصل إليه أفهامنا وأوهامنا"، قال: "وصفاته السلبية تخرجنا من حيِّز الإنكار والتعطيل، وتخلصنا من قيد التشبيه والتمثيل".

ثُمَّ قال: "وصفاته السلبية" أي: التي فيها نفي الصفات، كقولهم: ليس سميعًا ولا بصيرًا ولا متكلمًا، ويتضح ذلك في قول إبراهيم بن الحسين الحامدي، أحد دعاة الإسماعيلية، حيث قال عن الله -عامله الله بما يستحق-: "فلا يقال عليه حي، ولا قادر، ولا عالم، ولا عاقل، ولا كامل، ولا تام، ولا فاعل؛ لأنه مبدع الحي القادر العالم التام الكامل الفاعل، ولا يقال له ذات" لا له ذات ولا موجود، سلبوا عن الله النقيضين! إلحاد صريح، هذا قاله الحامدي في كتابه [كنز الولد]، وهذا من المصادر الرئيسة عندهم، فالحامدي نفى صفات الله نفيًا مطلقًا،

وزعم أنه إذا قيل عن الله حي أو ميت هذا في المخلوقات، في المبدعات، أمَّا الله فلا يتصف بشيء من هذا، لا عالم ولا جاهل، ولا حي ولا ميت.

طبعًا الإسماعيلية لم يكتفوا بهذا، نفوا عن الله صفة الوجود، حتى القول بأنّ الله موجود، يقول: ما يجوز أن تقول أن الله موجود ولا غير موجود، هكذا قالوا، تَعَالَى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وبنظرة فاحصة إلى هذه المعتقدات؛ يتبيَّن للناظر أنَّ كل ما يقوله المسلمون وأهل السُّنَّة عن الله جَلَّ وَعَلَا خلعه هؤلاء الملاحدة الإسماعيلية الباطنية على العقل الكلي، ما يسمونه بالعقل الكلي أو النفس الكلية، فالعقل عندهم والصورة الخارجية لله، وهو المعبود حقيقة عندهم.

والإسماعيلية -كما قلنا- يعتقدون بـــ"نظرية المثل والممثول" ذكرناها، التي تقول بأنَّ هناك حدودًا روحانية في السماء، يمثلها على الأرض حدود جسمانية، وبسبب معتقدهم هذا ذهبوا إلى أنَّ العقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام الإسماعيلي في العالم الجسماني في الأرض. يعني: الإمام الإسماعيلي عندهم في مقام الله! إله!

قالوا: لأنَّ الإمام مثل للعالم الكلي، ولهذا قالوا: إن صفات العقل الكلي كلها صفات الإمام، يعني: كل الصفات التي نحن نعتقدها لله صفات الكمال أضفوها على الإمام الإسماعيلي عندهم؛ لأنَّه إله بزعمهم، فالإمام عند الإسماعيلية الزنادقة هؤلاء هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، المنتقم، أطلقوه على أئمتهم.

وقد أشار لهذا من الإسماعيلية الطيبي في كتابه [الدستور ودعوة المؤمنين] في صفحة (٩٢)، وأشار لهذا الإسماعيلي المعاصر مصطفى غالب في كتابه [تاريخ الدعوة الإسماعيلية]، وأشار لهذا من المتقدمين، ممَّن ليس من الإسماعيلية ابن الجوزي في كتابه [القرامطة] في صفحة (٥٨).

② ثانيًا: عقيدتهم في الأئمة، عقيدة الإسماعيلية الإمامية في الأئمة:

كما قلنا الإسماعيلية تقول بـــ"نظرية المثل والممثول" التي تنص على أن الحدود الروحانية في السماء يمثلها حدود جسمانية في الأرض، وهم الأئمة؛ ولهذا أضفوا على الأئمة عندهم كل

ما يتعلَّق بالله، وطبقوا ذلك على علي بن أبي طالب، فأصبغوا عليه صفات الألوهية، فهو عندهم رب العرش العظيم، تَعَالَى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

ثُمَّ أصبغوا هذه الصفات التي لا تُصرف إلا لله تَعَالَى على أئمتهم، فالإمام الإسماعيلي عندهم هو الواحد الأحد القاهر المنتقم، هكذا يقولون.

وقد نصَّ على هذا من أئمتهم: شهاب الدين أبي فراس الإسماعيلي في كتابه [مطالع الشموس] في صفحة (٣٣ – ٣٥).

طبعًا وصفوا الإمام عند الإسماعيلية بأنَّه النور والظلام والإيجاد والإعدام، وأنَّ التسبيح لوجهه، تقديس وتجريد، والتمجيد لعرشه العظيم، تنزيه وتوحيد، لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، إلى غير ذلك، طيب ما ذا بقي لله جَلَّ وَعَلَا؟! هل بقي شيء لله بعد ذلك؟! تَعَالَى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

📖 **والملاحظ**: أنَّ هذه المعتقدات لا تزال تحملها الإسماعيلية المعاصرة إلى يومنا هذا.

يقول مصطفى غالب –وهو إسماعيلي معاصر– مخبرًا عن معتقدات الإسماعيلية المعاصرة: "واعتقد الإسماعيليون أنَّ أوَّل الموجودات هو العقل الفعَّال كما سبق قوله، واعتمدوا على نظرية المثل والممثول، فقالوا: إنَّ لكل حدٍ من الحدود العلوية ممثول في العوالم الثلاثة: الجرمي، والديني، والجسماني، وأطلقوا على الحدود العلوية أسماء مختلفة ذات مدلول واحد، فألقوا على العقل الفعَّال الذي هو أول الموجودات تسعةً وتسعين اسمًا معروفةً بأسماء الله الحسنى؛ لأنَّ المبدع بنظرهم لا اسم له" الله عندهم ليس له اسم ولا صفة، كما قلنا، سلبوا عن الله النقيضين.

"ولا يمكن تصويره أو إطلاق النعوت عليه، فهو فوق الأسماء والنعوت التي هي مبدعاته" وعندهم من أسماء الله وصفاته هي مخلوقاته مبدعاته فقط، أما هو لا يتصف بها، هو لا يتصف بها، كما صرَّح هذا مصطفى غالب.

"ولو أنَّ له اسمًا لكان هناك من سمَّاه به، ولكان يمده بالقوى الروحانية، وهذا لا يجوز أصلاً؛ لأنَّ المبدع يُمد ولا يستمد، ثُمَّ أضافوا على قولهم أنهم جعلوا للعقل الفعَّال –كما قلنا– ممثولاً في عالم الدين، هو الرسول الناطق، صاحب الشريعة في حينه، ولَمَّا كان الرسول الناطق

في عهده هو الجدير بحمل أسماء العقل الفعَّال كان الإمام الذي هو ممثول النفس الكلية جديرًا بحمل أسماء الموجد اَلْثَّانِي، ولَمَّا كان الإمام هو وريث الناطق" أي: أنَّ الإمام وريثة النبوة، الإمامة أصلا عندهم وصلوا بها إلى مقام الربوبية، فطبيعي أن تكون أنها أرفع من النبوة.

قال: "ولَمَّا كان الإمام هو وريث الناطق، أي: أن الإمامة وريثة النبوة؛ فإن الإمام بعد وفاة الناطق يتسلَّم المرتبتين: العقل الفعّال والنفس الكلية؛ لذا فإنّ جميع الأسماء وعددها تسعة وتسعون اسمًا تطلق عليه" يعني: على الإمام.

فهذا اعتقاد القوم، هؤلاء الإسماعيلية الباطنية، بإضفائهم وإصباغهم صفات الإله على بعض أئمتهم.

وتأليههم لأئمتهم هذا موجود، فطائفة "البُهرَة الداودية" في الهند "الباطنية"، قدَّسوا شيخهم محمد برهان الدين قبل يمكن خمسة وعشرين سنة، لَمَّا ذهب وزار أتباعه في جبال حراز في اليمن قوبل هذا الداعي مقابلةً ينبهر منها العقول، جهَّز له أتباعه عرشًا له ثمانية مقابض، متأولين قوله تَعَالَى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾[الحاقة:١٧]، فجلس عليه هذا المجرم الداعي، وأخذوا به سيرًا على الأقدام، محمول على عرشه، والناس من حوله يتمسحون به ويقبلونه، وهم يطلقون الأهازيج والنغمات المعبرة عن تعظيمهم وتقديسهم له، وهذا مشاهد، رُئي هذا، جعلوه في مقام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهذا ما يتعلَّق باعتقاد الإسماعيلية الباطنية في أئمتهم، وللحديث بقية إِنْ شَاءَ اللَّه في الأسبوع القادم، أستكمل بها عقائد هؤلاء الملاحدة الإسماعيلية الباطنية في بقية أبواب المعتقد.

ألتقيكم بإذن الله جَلَّ وَعَلَا في الأسبوع القادم.
أستودعكم الله، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.